هنريك ابسن

اسامة عبد الرحمن

مقدمة

هنريك إبسن: هو كاتب مسرحي نرويجي لُقِّبَ بأبى المسرح الحديث وله ٢٦ مسرحية، وشهرته تأتي بعد شكسبير عند الكثير من النقاد، وتتسم نظرته للحياة بالعمق والشمول، ويتَّسم مسرحه بالدقة مع تعبير شاعري دقيق، ويعُتبر عرّاب المسرح المعاصر وواحد من مؤسسي حركة التحديث المسرحي صُنّف إبسن كواحدٍ من أعظم كتّاب المسرح في الأدب الأوروبّي، بل وربما أعظمهم بعد شكسبير.وإذا كانت مسرحياته نادرًا ما تأخذ الشكل التراجيدي؛ إلا أنها تتخذ المزاج المأساوي بشكل كبير، ولقد كتب أولى مسرحياته كاتالينا عام ١٨٥٠م وجاءت ميلو دراما مليئة بالإمكانات التي لم يَرَها معاصروه.

صُنّف كواحدٍ من عمالقة الأدب في عصره، تعرّض ابسن عام 1900 لسلسلةٍ من السكتات القلبيّة جعلته غير قادرٍ على الكتابةِ

وتمكّن من عيش عدّة سنوات أُخر إلّا أنّه أمضى جُلّها غائبًا عن الوعي، وتوفّي في 23 مايو 1906، وكانت أخر جملةٍ نطق بها هي من أجل الوطن حيث قالها باللغة النرويجيّة وأقامت له الحكومة النرويجيّة جنازةً مهيبةً.

اسامة عبد الرحمن

الميلاد والنشأة

ولد في 20 مارس 1828 في مدينة سكيين بالنرويج لواحدةٍ من أبرز العوائل ، وكانت تمتلك ثروةً كبيرةً، إلّا أنّه وفي سنّ الثامنة أفلس مصرف والده فاضطروا إلى بيع منزلهم الفخم والانتقال إلى حياة التشرّد وسرعان ما أصبح إبسن انطوائيًّا ومتقلّب المزاج، وتراجع أداءه في المدرسةِ وغادر قريته في سن السادسة عشر.

وفي عام 1844 أصبح صيدلياً مساعداً وفي مدينة جريمستاد عمل كمدير تحرير في مدينة برجن لصالح المسرح النرويجي هو كاتب مسرحي نرويجي من كتاب المسرح العظام في العالم تتسم نظرته للحياة بالعمق والشمول ويتسم مسرحه بدقة البناء والاقتصاد مع تعبير شاعري دقيق وإذا كانت مسرحياته نادراً ما تأخذ الشكل التراجيدي إلا إنها عموماً تتخذ المزاج التراجيدي أو المأساوي الجاد ولقد كتب أولى مسرحياته كاتالينا عام 1850 وجاءت ميلودراما مليئة بالإمكانات التي لم يرها معاصروه.

وفي عام 1851 عمل إبسن كمساعد في مسرح بيرجين ثم سافر إلى الدنمارك وألمانيا لدراسة التكنيك المسرحي. وفي عام 1854 كتب مسرحية السيدة إنجر من ستوارت وهي مسرحية تجري أحداثها في العصور الوسطى في النرويج المعاصرة لإبسن وفي عام 1855 كتب مسرحية تتناول موضوعاً من العصور الوسطى بطريقة رومانسية

انتقل إلى أوسلو بعد 6 سنواتٍ من العمل في صيدليّةٍ ، وامتهن الكتابة حظي بنجاحة الأول في سن 36 بعد أن تلقّى منحةً للسفر ومغادرة موطنه وكتب العديد من روائعه أثناء تواجده في ألمانيا وإيطاليا من بينها Brand و An Enemy of the Peer Gynt و Emperor and Galilean و A Doll's House و The People و Wild Duck وغيرها عاد إلى بلده النرويج بعد عزلةٍ فرضها على نفسه لمدّة 27 عاماً، وتابع كتاباته حتّى أقعدته سكتةٌ قلبيّة وجعلته عاجزًا في عمر الثانية والسبعين.

بدايات هنريك إبسن

ينحدر كلا والديه نود إبسن ووالدته ماريشين كورنيلا مارتين نيي التينبورغ من عوائل مرموقةٍ في المنطقة وكان هنريك الولد الثاني من بين ستّة أولاد، لكنّه عُومل كالإبن البِكر بعد موت أخيه المبكّر كان له ثلاثة أُخوةٍ هم يوهان أندريسونيكولاي أليكساندر وأولي بوز وأخت واحدةٌ اسمها هيدفيج كان والده نود إبسن تاجرًا ثريًّا يسكن في قصرٍ يدعى في وسط البلدةِ، كان كريمًا يُحسن ضيافةِ الجميع ويعيش حياةً باذخةً لكن كل شيء تغير بعد فقدان ثروته عام 1835.

باعت العائلة قصرها عام 1836 وانتقلت للعيش في منزل مزرعةٍ مهدّم في ضواحي البلدة ثم انتقلوا لاحقًا للعيش في منزل أخيه غير الشقيق في أدمن نود الكحول بعد إفلاسه وانتقاله إلى حياة

الفقر، وصبّ جامَ غضبه على عائلته، حيث تقبّلت زوجته انهياره بدون أي ملامةٍ وقد أثّر الفقر عميقًا في هنريك الغلام الصغير ذو الثمانية أعوام، خصوصاً بعد رؤيته تجاهل الأشخاص الذين كانوا يستمتعون بكرم عائلته وتمنّعهم عن مساعدتها، فبدأ في الانعزال تدريجيّا وأصبح عابسًا وغير اجتماعيّ فكان إبسن الصغير يمضي أغلب وقته منعزلًا عن الناس في السقيفةِ أو في غرفةٍ صغيرةٍ مجاورةٍ لمدخل بيته الخلفي مُقفلًا على نفسه يقرأ الكتب القديمةَ أو يرسم.

ترك إبسن المدرسة في سنّ الخامسة عشر وبدأ بالعمل كتلميذٍ مبتدئ في صيدليّةٍ في جريمستاد ، واستمرّ في العمل لستّ سنواتٍ مكّرسًا وقت فراغه المحدود للرسم وكتابة القصائد. كتب مسرحيته الشعرية الدراميّة الأولى عام 1849 بعنوان كاتيلينا ، سائرًا على خطى ملهمه الأول ويليام شكسبير .

حياة هنريك إبسن الشخصية

تمتّع إبسن بزواجٍ طويلٍ وسعيد على عكس باقي الشعراء والكتاب الآخرين حيث تزوج سوزانا داي ثيروزين عام 1858 وحظيا بطفلهما الأوّل والوحيد سيجارد بعد عامٍ من زواجهما كما كان لإبسن ولدٌ آخر من علاقةٍ سابقة عندما كان تلميذًا متدرّبًا عام 1846 .

إنجازات هنريك إبسن

انتقل إبسن إلى كرستينيا المعروفة بـ أوسلو حاليًا عام 1850 للتحضير للامتحانات الجامعيّة للدراسةِ في جامعة كرستينيا، وهناك تعرّف على كتّابٍ وفنانين آخرين كان أولي سكوليرود من الأشخاص الذين تعرّف عليهم والذي موّل نشر مسرحيّة إبسن الأولىCatilina ، لكنها لم تحظَ بشعبيّةٍ كبيرةٍ.

التقى في العام التالي بعازف الكمان والمدير المسرحيّ أولي بول ، الذي عرض عليه أن يعمل ككاتبٍ ومديرٍ للمسرح النرويجيّ. كان المنصب الجديد بمثابة درسٍ مسرحيٍّ قاسٍ، تضمّن السفر خارج

البلاد لاكتساب خبرةٍ ومعرفةٍ أكبر عاد إبسن عام 1857 إلى كرستينيا ليدير مسرحاً آخر هناك كان ذلك بمثابة مغامرةٍ مخيّبةٍ للآمال بالنسبة له، فقد زعم آخرون أنّه أساء إدارة المسرح وطالبوا بعزلة من منصبه بالرغم من تلك الصعوبات التي قاساها إلّا أنّه تمكّن عام 1862 من كتابة مسرحيّة Love's Comedy التي تتكلّم عن الزواج بصورةٍ هجائيّةٍ.

غادر إبسن النرويج عام 1862واستقرَّ في إيطاليا لفترةٍ من الوقت، وهناك كتب براند، وهي مسرحيّةٌ تراجيديّةٌ من خمسة فصولٍ تتحدّث عن قسيسٍ كلّفه تمسّكه بمعتقداته عائلته وفي نهاية المطاف دفع حياته ثمنًا لذلك جعلته المسرحيّة مشهورًا في اسكندنافيا، وبعد عامين كتب إبسن واحدةً من تحفه الفنّيّةِPeer Gynt ، وهي مسرحيّة شعريّة معاصرةٌ تتناول الملاحم الإغريقيّة القديمة ثم انتقل إبسن إلى ألمانيا عام 1868 حيث كتب مسرحية The Pillars of Society، وعُرضت للمرّة الأولى في ميونيخ، ساعدت المسرحيّة

في انطلاق مهنته هناك، وأتبعها لاحقًا بواحدةٍ من أشهر مسرحياته وهى بيت الدمية حيث أثارت المسرحية التي أطلقت عام 1879 الرأي العام الأوروبي ، فقد تحدثت عن الفتاة نورا وسعيها لاكتشاف ذاتها، ومعاناتها مع العادات والتقاليد القديمة المتعلقة بالزوجة والأُمّ وانتقل إبسن إلى روما وألّف مسرحيّة Ghosts مثيرًا المزيد من الجدل حيث تطرّق إلى جوانب جديدةٍ مثل المحرّمات والأمراض الجنسيّة علت أصوات الاعتراضات والاحتجاجات على المسرحيّة، فلم تؤدّى على نطاقٍ واسع إلّا بعد عامين من إطلاقها أما مسرحيته التالية An Enemy of the Peopleفتحدثت عن رجلٍ على خلافٍ مع مجتمعه، قال بعض النقّاد أنّ هذه المسرحيّة كانت بمثابة ردٍّ على ردّ الفعل العنيف التي تعرضت له مسرحيّته الأخيرة.

العودة إلى النرويج

بالرغم من أنّه غادر موطنه محطّماً، إلّا أنّ إبسن عاد إليه عام

1891 ككاتبٍ مسرحيٍّ عالميٍّ و بطلٍ أدبيٍّ بارزٍ حيث أمضى أغلب حياته منعزلًا، إلا أنّه نجح في كسب شهرةٍ واسعةٍ في سنواته الأخيرة ، كما أصبح مقصدًا للسياح القادمين إلى كريستينيا، وأُقيم حفلٌ على شرفه عام 1898 للاحتفال بميلاده السبعين.

عكست أعماله التاليّة جزءاً أكبر من شخصيته، فتحدّثت عن شخصياتٍ تتذكّر الماضي وتعيش عواقب قراراتٍ اتخذتها سابقاً كانت مسرحية The Master Builder هي العمل الأول الذي كتبه بعد عودته إلى النرويج، حيث يصادف البطل امرأةً من الماضي لتحثّه على الوفاء بوعد كان قطعه على نفسه أمامها أمّا مسرحيتّه الأخيرة When We Dead Awaken فكتبها عام 1899، وكانت تتحدّث عن نحّاتٍ يعمل على منحوتةٍ سابقةٍ لاسترجاع شرارة الإبداع التي فقدها.

قائمة أعماله

كاتيلينا(1850)

كوميديا الحب(1850)

ليلة شارع جون(1852)

السيدة إينجر(1854)

العيد في سولهوج(1855)

(1856) Olaf Liljekrans

الفايكنج في ارض هيلجا

(1857) مسرحية عدو الشعب (1882)

البطة البرية(1884)

آل روزمر(1886)

سيدة من البحر(1888)

هيدا جابلر(1890)

البناء العظيم(1892)

أيولف الصغير(1894)

جون غبريال بروكمان(1896)

عندما نستيقظ نحن الموتي(1899)

من أنا..؟

بالرغم من كون ابسن من ابرز الكتاب العالميين في ظهور الاتجاه الواقعي، إلا انه أبدع مسرحيات تتسم بخيال خارق، فمسرحية

بيرجنت التي كتبها قبل مجيئه بعامين إلى القاهرة لحضور حفل افتتاح قناة السويس تلبية لدعوة الخديوي إسماعيل- ينسج فيها أروع ألوان الخيال حيث يتتبع مسار بطله وهو فتى ريفي فقير ولكنه يملك خيالا أسطوريا لاحدود له، يتضح عندما يروى على والدته مغامرات خياليه، كما يحلم أن يكون إمبراطور على العالم.

يقع البطل في غرام سولفيج، وفي الوقت نفسه يعشق أخريات أعطين أنفسهن للجن، لذلك يرفض بيرجنت أن ينتمي إلى عالم الجن المشوه من الإنسان، فيهرب إلى عالم آخر حيث يهجر حبيبته سولفيج ويسافر متنقلا من بلد إلى آخر في محاولة ليخلق عالما خاصا به، وأثناء مغامراته وسفرياته لايختار بيرجنت إلا نفسه، وأثناء تنقله في بلدان العالم بحثا عن ذاته يصل إلى القاهرة الكبرى ويقف أمام أبو الهول يسأله من أنا ؟ في محاولة لمعرفة ذاته وهويته.

ويسافر ثانية ليعود إلى وطنه النرويج وأثناء ذلك يعانى كثيرا، إلى أن يعثر على ذاته أخيرا تحقيقا لمقولة أبو الهول اختر نفسك فعثر بيرجنت ثانية على حبيبته سولفيج وبها يجد ذاته ويعثر على نفسه ويلملم أشلاؤه، حيث ينتصر الحب في النهاية.

حقائق سريعة عن هنريك إبسن

- على الرغم من رحيل ابسن، إلّا أن المسارح في جميع أنحاء العالم استمرّت في عرض أعماله، وتعد مسرحياته Peer Gynt و A Doll's Houseو Hedda Gabler من أكثر المسرحيات التي يتمّ انتاجها في أيامنا هذه.
- لعبت ممثلاتٌ مثل جيليان أندرسن و كيت بلانشيت دور شخصيتيّ واللتان اعتُبرتا من أكثر الأدوار المسرحيّة طلبًا.
- كتب إبسن أكثر من 300 قصيدة بالإضافة للمسرحيات.

- استمرّ عرض أعمال إبسن سنينًا طوال بعد وفاته، فقد جال العالم واختبر هموم وظروف الناس كما لم يفعل شخصٌ من قبل.
- كتب الأديب جيمس لويس أن إبسن أثار جدلًا وتلقّى نقدًا أكثر من أي شخصٍ آخر.
- كان مسرح إبسن واقعيًا، فقد تطرق إلى مشاكل عانى منها المجتمع الأوروبى.

مسرحية براند

عام 1865 كتب هنريك إبسن مسرحيته الحادية عشرة براند التي حاول فيها بعض الشيء أن يخرج عن الإطار الواقعي، بل الطبيعي الذي كان ميز مسرحه منذ بداياته وهو في هذا السبيل قدم شخصية براند الشاعرية، شخصية المناضل الذي يتنطح إلى أن يكون مثالياً يحارب التردد والاستنكاف عن الفعل، وروح التسوية ومبدأ المنفعة

وإبسن من بعد كتابته براند مباشرة، ورغم انه حمّل هذه الشخصية كل ما يتطلع إليه من قدرة المرء على معرفة ذاته وتحقيق هذه الذات بنفسه، انطلاقاً من أن هذا التحقيق هو ما كان يهمه منذ بدأ الكتابة أصلاً، وجد نفسه يقع فجأة تحت تأثير فلسفة كيرك جارد، أحد كبار الفلاسفة الاسكندينافيين في تلك الأزمان ومنذ المسرحية التالية بيرجنت، صارت مسرحيات ابسن مطبوعة بتلك الفلسفة، بحيث ان الشخصيات الرئيسة لديه إنما تمثل صورة مصغرة للمجتمعات التي جعلها التاريخ خاضعة في شكل كلي الى الضغوطات المحيطة والمحبطة. وهذه الشخصيات تناضل وسط هذا المجتمع وقد ألمّت بها أزمة الاختيار كاشفة ضعف الذات ومعضلات التاريخ الشخصي. وهذه الأزمة التي تشكل في الأصل جوهر حياة الفرد لدى كيركغارد، نحا ابسن الى أن يعبر عنها، ولكن في مسرحيات آثر ألا يجعل الأحداث الحقيقية والحاسمة تدور خارج المسرح، ويصار الى التعبير عنها بالحوارات والكلام، بل مباشرة أمام أعين المتفرجين على

الخشبة مباشرة وبهذا يكون إبسن فصل مسرحه نهائياً عن مسرح شكسبير أو راسين أو غيرهما من المؤلفين الذين آثروا دائماً أن تعبر الكلمات عن الأحداث.

وهذا كله يبدو واضحاً في بيرجنت، هذه المسرحية التي كتبها خلال زيارته إيطاليا عام 1867، لكنها لم تقدم للمرة الأولى إلا عام 1876، وهي تعتبر فريدة في مسار إبسن، من حيث شكلها الفني، والحيز الزمني الذي تستغرقه أحداثها، و شخصياتها التي تبدو أقرب إلى شخصيات الحكايات الخرافية، إضافة إلى كون أحداثها، التي تتوزع على خمسة فصول تدور في أنحاء متفرقة من اسكندينافيا، ومن العالم أيضاً، إذ ان ثمة في المسرحية أحداثاً تقود بطلها بيرجنت إلى شمال أفريقيا، ثم إلى القاهرة حيث نراه ذات يوم مسجوناً في بيت للمجانين. والحال أن وجود بيرجنت في هذه المناطق العربية هو ما أعطى الموسيقي إدوارد كريج فرصة لوضع موسيقى السوق العربية

في المتتالية التي حملت اسم بيرجنت نفسه وكتبها انطلاقاً من مسرحية إبسن هذه.

إذاً، فإن المتآلفين حقاً، مع الطابع الاجتماعي والواقعي الذي هيمن على القسم الأكبر من مسرحيات إبسن المعروفة، يجدون صعوبة في اعتبار بيرجنت عملاً من أعماله أما هو، ابسن، فقد رأى دائماً أنه في كتابته لهذه المسرحية المتمحورة حول هذه الشخصية، إنما قدم الصورة المضادة تماماً لشخصية براند، معتبراً الشخصيتين وجهين لميدالية واحدة، ترسم من خلال تكاملهما صورة القلق الإنساني وضياع الفرد أمام مجتمع يعامله من ناحية بمثالية، ومن ناحية ثانية، بلا مبالاة .

بيت الدمية لكل زوجة

وصف النقّاد كل مسرحية من مسرحيات ابسن بالقنبلة الموقوتة، فكل منها تفجّر قضية ما وتثير ردود فعل عنيفة، فقد اختار ابسن تمزيق الأقنعة كلها وكشف الزيف الاجتماعي داعيا إلى الاعتدال والوسطية بعيدا عن التطرف.

ففي عام 1879 عرضت مسرحية بيت الدمية التي أثارت غضب المشاهدين فرموا الممثلين بالطماطم معتبرين المسرحية إهانه تمس بمكانة المرأة، وتهدد الطمأنينة العائلية إذ ترفض نورا الزوجة القليلة الخبرة أن تحيا حياة زائفة مع زوجها المثقف وتكتشف أنه لا يكن لها احتراما حقيقيا ولا يؤمن بحقها في أن تفكر أو تتخذ أي قرار.

فنجد إبسن وقد مزق القناع عن حياة زوجية عاشت فيها الزوجة كاللعبة في البيت أكثر منها شريكة لزوجها الذي لم تدخر أي جهد

لتسعده في حين يتعامل معها هو كالدمية التي لا تفهم شيئا، لتكتشف نورا خديعتها في زوجها وتجد أن ما كانت تعتبره سعادة كان وهماً.

ونظرا للجدل الذي أثارته هذه المسرحية فقد استغلتها الحركات النسائية المتطرفة في العصر الحديث أسوأ استغلال في تفسير المسرحية بعيداً عن مقاصد ابسن الحقيقية، ولما قوبلت هذه المسرحية، لاسيما في ألمانيا، بعاصفة من الاحتجاج، اضطرابسن إلى أن يضع لها خاتمة إرضاء للجمهور، ولا تزال المسرحية حتى اليوم تثير جدلاً بين النقاد المحدثين.

أبو المسرح الحديث

لقب هنريك ابسن بأبى المسرح الحديث، وقد انتهج المنعطف الواقعي في أعماله فقد تطرق ابسن إلى قضايا واقعيه وخطيرة يعانى منها المجتمع الأوربي، كما تناول قضايا إنسانيه خالدة تشغل الإنسان عبر العصور، مثل قضية ماهية الحقيقة والفارق بين الحقيقة والواقع أو الصراع بين الواقع والمثال وقضية النفاق الاجتماعي، وغيرها من القضايا التي تثيرها أعمال إبسن المسرحية والتي ليس بالضرورة أن تضع لها حلولاً وهكذا نجد أن دعوة إبسن الاجتماعية في معظم أعماله دعوة إلى الاعتدال والوسطية ورفض للتطرف في كل شيء، كما أنها دعوة للكشف عن أقنعة الزيف الاجتماعي ونبذ النفاق على حساب المبادئ الأساسية التي تضر بالفرد والمجتمع، وقد اتبع ابسن في مسرحه أسلوبا دراميا مميزا عرف بالمنهج الانقلابي بمعنى أن تبدأ المسرحية بموقف في الحاضر ثم تتوالى أحداث من الماضي في العودة لتنسج النهاية المأساوية لأبطال المسرحية وعلى عكس

مسرحيتي بيت الدمية والأشباح التي لاقى عرضهما غضب شديد من الجمهور والصحف، فقد لاقت مسرحية عدو الشعب ترحيبا كبيرا وحماسه من الجمهور لدى عرضها والتي ألهب فيها الصحافة والأحزاب والرأي العام باحتقاره، معلناً أن الرأي القائل إن الأكثرية دوماً على حق هو ابرز الأكاذيب الاجتماعية التي ينبغي للرجل المستقل مناوءتها.

هنريك ابسن في عيون النقاد: هنريك إبسن ...

رائد الدراما الواقعية

يعد الكاتب المسرحى النرويجى الكبير (هنريك إبسن 1828 – 1906) رائد المسرحية الواقعية الحديثة، وقد نهج على منواله كثير من كتاب المسرح، كما أحدث عرض مسرحياته معارك فنية صاخبة أنقسم فيها الكتاب والنقاد إلى فريقين: فريق يحبذ التطور الفنى الجديد، وفريق يتمسك بأهداب القديم واحتدمت المعركة سنوات حتى أنتصر دعاة المسرحية الحديثة الذين كان يطلق عليهم وقتذاك الإبسنيون ، ولهذا استغرب الدراما الواقعية التى وضع أصولها الكاتب النرويجى هنريك إبسن .المجتمع بعد ذلك أخذت قوى إبسن فى الإنهيار وقضى أخر ست سنوات فى حياته يعانى مرضاً شديداً، وعندما مات فى 23 مايو عام 1906 أحتفل بتشييع جنازته أحتفالاً شعبياً كبيراً ونال من التقدير والمجد ما جعل كاتباً مسرحياً قبل برناردشو يقول: لقد وضع شكسبير أشخاص على المسرح ولكن لم يضع ظروفنا على المسرح . لذا فمسرحيات أهم وأكثر قيمة من مسرحيات شكسبير، ولذلك أيضاً

فهى قادرة على إيلامنا بقسوة وملأنا بالأمال فى أن ننجو من استبداد المثل العليا ونطمح فى حياة أعمق وأجمل فى المستقبل.

حول رحلة ابسن المصرية

خطاب الاستشراق وابسن فى الثقافة العربية وابسن ونقد خطاب الاستشراق وهل كتب ابسن مسرحيات سياسية وابسن بعد مائة عام وأدب الرحلة فى مسرح هنريك ابسن ومن النص الأدبى الى النص السينمائى وابسن بين المسرحية والفيلم أثار الناقد والمترجم الدكتور مجدى يوسف جدلاً كبيراً فى طرحه حول مطالبته المخرجين المصريين والعرب بضرورة مواكبة النص الأجنبى لظروف المجتمعات العربية اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً عند تعريب أى نص لمبدع اجنبى مشيراً إلى أن ظروف المجتمعات الغربية تختلف عما يدور من أحداث فى منطقتنا العربية جاء هذا تعقيباً على بحثى المخرجين المصريين جمال ياقوت الذى كان قد قدم على المسرح المصرى بيت الدمية والمخرجة عزة الحسينى البطة البرية للراحل

أبسن وهو ما ا تفق معه الناقد الدكتور أبو الحسن سلام واختلف معه فى جزئية أنه يجب شحذ كل النصوص لمرحلة ما بمعنى اذا كان المجتمع العربى يمر بهذيان فيما يقدم من فنون ليس صحيحاً أن أجىء بنصوص تتماشى مع هذا الانفلات فى حين أكد الدكتور كامل عيد أن كل الشواهد تدل على أن الفن المسرحى المصرى قدم روائع الترجمات المسرحية فى فترة الستينات من خلال مخرجين كبار مشيراً إلى أن المسرح والنصوص الأجنبية حملت روح الابداع المصرى بتقنيات أوروبية. ولم يكن هناك أى خلل فيما يقدم الناقد الشاب الدكتور هانى سلام الذي قدم بحثه حول أدب الرحلة عند هنريك ابسن من خلال نص بيرجنت من خلال استفادة ابسن من زيارته إلى القاهرة عندما دعاه الخديو اسماعيل عندما دعاه كواحد من كبار المبدعين فى العالم لحضور افتتاح قناة السويس لذلك استطاع ابسن ان ينسج ذلك فى تطواف بطل مسرحية بيرجنت وتفاعله مع ثقافة مجتمع يزوره لأول مرة من خلال المغامرة

والواقعية والرومانتيكية التى عكسها ابسن من خلال بطل المسرحية أشار الباحث إلى أن الأسلوب عند ابسن له دور كبير فى أعماله إلى درجة أنه يبدو انه غير صادق رغم انه صادق وغير كاذب رغم انه غير قابل للتكذيب اثناء الحكى وهذا يدلل على براعة الرجل فى الحكى والأسلوب حيث يسقط كل هذا التشتت فى عبث الأحداث وقال الباحث ان مسرحية بيرجنت تكشف عن قدرة ابسن على تفكيك مركزية الفكر والثقافة بتناول العمل لمجتمع غير المجتمع وحدث غير الأحداث ومناخ مختلف وهو ما يعكس أن الثقافات منفتحة على بعضها البعض وأوضح الباحث أن ابسن استطاع أن يتوصل إلى السريالية والحداثة بكتاباته قبل أى مبدع وأديب فى العالم وطرحت الناقدة ايمان عز الدين فى ورقتها قراءة بعنوان من النص الأدبى إلى النص السينمائى حيث بلغت أعمال السينما المأخوذة عن اعمال ابسن الشعرية والمسرحية قرابة 58 فيلماً فى مختلف أرجاء العالم أما الناقد محمود قاسم فقد تناول فى ورقته (ابسن بين المسرحية والفيلم)

موضحا انه يأتي فى المرتبة الثانية من الكتاب المسرحيين الذين تحولت أعمالهم المسرحية والشعرية إلى أفلام وهو بذلك يأتى بعد شكسبير متقدماً على برنارد شو وآرثر ميللر وستر ندبرج وتيسنى ويليلمز وأوضح قاسم أن اهتمام السينما بأعمال ابسن يرجع إلى تناسب أعماله مع إيقاع السينما الأوروبية من أجواء اجتماعية ونفسية إلى جانب ان ابناء اللغات القريبة من لغة الكاتب اهتموا بذلك وقد وصل الأمر إلى أن عملا مثل بيت الدمية تم إخراجه خمس مرات للسينما كان آخرها عام 89 وفى مصر تم تحويل مسرحية أعمدة المجتمع إلى فيلم أيام ضائعة عام 65 من إخراج بهاء الدين شرف وتناول الدكتور أبو الحسن سلام حيرة الباحث فى تناول مسرح ابسن مؤكدا ان الباحث يقع فى حيرة عند الشروع فى وضع مجمل المعرفة التأسيسية الظنية المنسحبة أمام تيار المعارف اليقينية التى شمر عنها ابسن أكمام فكره التنويرى ووضعها تحت منظار الدراسة المنهجية التأصيلية مادة وشكلا حيث انه على الرغم من ان ابسن فى مسرحياته

يعول على المظهر النقاشى بين الانا والآخر إلا ان ذلك يجعله لا يحصر الصورة فى اطار صراع الافكار ذلك ان ابداع ابسن المسرحى لا يلقي بشخصياته الدرامية فى مواجهة تيار الوعى عزلاء ولكن يجسد تعطش شخصياته الى المعرفة وانفلاتها من البيات الثقافى الى الانطلاق بحرية ودارت ورقة الدكتور كمال الدين عيد حول (حياة ابسن بين الميلاد والاضطهاد) من خلال مولد ابسن فى عصر سيطرت فيه السويد والدنمارك على الحياة النرويجية مما جعل ابس الصبى فى احدى الصيدليات المناصر للحركة العمالية ضد الرأسمالية يسخر كل كتاباته وموهبته ضد الاجبار والزيف والخداع فكتب مسرحياته كنموذج ومعيار للسلوك والعيش الهادئ المطمئن ووصفت الناقدة الدكتورة فريدة النقاش هنريك ابسن بأنه من أعظم مبدعى المسرح على مر العصور فقد لعب دورا مشابها لدور شكسبير فى تأثيره على المسرح العالمى من المسرح الحى الى السياسى ومن مسرح الشارع إلى العبث ومن الملحمى إلى الوثيقة فهو سيبقي

مسرحه شأنه شأن المسرح اليونانى الكلاسيكى قادراً على اضاءة الحياة واثرائها جماليا والتجدد معها والاستجابة لحساسيتها المغاير من ناحية أخرى حضرت الملكة سونيا ملكة النرويج الاحتفال بدأت جولتها بزيارة مكتبة الاسكندرية وشهدت عرض مسرحية بيرجينت بمسرح الصوت والضوء تحت سفح الأهرامات، وهو عمل نرويجى يحكي عن انسان يبحث عن ذاته وعن معنى الحياة ويشق طريقه إلى العالم حتى يصل إلى مصر ويواجه أبو الهول الذى يسأله من أنت وماذا تريد؟ وقد خصص عائد هذا الحفل بالكامل لصالح مستشفى سرطان الأطفال بالقاهرة وقالت ملكة النرويج : عند لحظة وقوفى أمام الأهرامات وأبو الهول شعرت بتعانق الحضارات وعرفت سبب تأثر هنريك ابسن بالحضارة المصرية وأضافت : آمل استمرار التعاون الثقافى بين مصر والنرويج الذى بدأ بمسرحية بيرجينت بالقاهرة، فمثل هذه الأعمال هى الدافع لفهم الآخر والتواصل بين البلدين وأشار لاسه ساسيه سفير النرويج بالقاهرة إلى أن مصر تعتبر

المحطة الرئيسة للاحتفال العالمى بذكرى ابسن باعتبار أنه كان الممثل الرسمى للنرويج فى الافتتاح التاريخى لقناة السويس عام 1869 كما أنه انبهر بالحضارة المصرية القديمة وتأثيرها فى معظم اعمال المسرحية وافتتحت ملكة النرويج معرض نساء ابسن للفنانة نينا سانديباي، الذى يضم عدداً من التماثيل والمخطوطات النادرة المتعلقة بهنريك ابسن، وفي المعرض تم الربط بين كل تمثال وما يقابله من أعمال ابسن .__

هنريك إبسن: النقد الاجتماعي وظيفة الخشبة الأولى

في تقديمه لترجمة عربية لمسرحية هنريك إبسن إيولف الصغير، يؤكد عبد الرحمن بدوي أن إبسن: مارد متوحد في صراع دائم مع المجتمع بتقاليده، والناس بنفاقهم وتصنعهم، تمرد على المجتمع، وعارض التقاليد السائدة والمواضعات الاجتماعية التي اصطلح عليها الناس في علاقاتهم الاجتماعية، وأكد الفردية الصلبة الشامخة التي تحرص على حقوقها، وتؤكد استقلالها ضد الناس، والمجتمع، والدولة، وتقفز في وجه كل ما يحد منها، أو ينتقص من ذاتيتها. **كان الكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن، متشائماً في ما يتصل بالماضي والحاضر والمستقبل، متشائما في ما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة، وعلاقات الفرد مع المجتمع، وامتد تشاؤمه إلى مثاليته، فقد كان في شبابه مثالياً طموحاً، لكنه لم يجد في الواقع غير كل ما يثير قلقه، فتشاءم من الإنسان ومصيره، وإمكان إصلاحه وإصلاح العالم، لكنه لم يكن من الرومانتيك الحالمين ذوي النفوس الرخوة، الذين قلبوا تشاؤمهم إلى عاطفة على الفقراء والمحرومين، لأنه**

رأى أن ما يحتاجه الإنسان ليس الرثاء والعطف، بل العدالة والغضب من الظلم.

إبسن بين الشرق والغرب:

رحلة إبسن إلى مصر:

تناولت الباحثة النرويجية فيجبث إيستاد رحلة إبسن إلى مصر، وذلك ضمن حلقة بحثي بعنوان إبسن بين الشرق والغرب حيث ذكرت أن هذه الرحلة أثرت عليه كثيراً خاصة وأنه كان يحلم بأن يقوم برحلة مماثلة، فعندما جاءته دعوة الخديوى لم يعط نفسه الفرصة للتفكير، فأخيراً سيقوم بالرحلة مدعواً من الخديوى إسماعيل ممثلاً للملك كارل 15.

وفى رحلته هذه لمصر زار أبو سنبل والكرنك ووداى الملوك وأبيدوس وحين عاد إلى بلده فكر فى كتابه ونشر هذه الرحلة، وكتب بالفعل جزء منها وأسماه أبيدوس عبارة عن شعر ونثر يصف ما رآه فى الرحلة من آثار وصحراء وشعب.

وأضافت الدكتورة أن أبسن أعتبر مصر إحدى الأماكن الفريدة التى تجمع بين عنق الشرق والحضارة والتاريخ وكتب بعد ذلك رسالة إلى سيدة سورية هذا النص الذى أعتبر مكملاً لنص أبيدوس الناقص حيث أكمل إبسن فيه وصف رحلته، فوضع فيه وصفاً دقيقاً لمقابر الفراعنة وآثارهم والجو العام فى مصر فى هذه الفترة وتعامل هذا النص مع التاريخ عن طريق الشعر فكون ملحمة عبرت من خلال الأبيات عن الجمال والعظمة وروعة العصر.

هنريك إبسن يتجدد ويتجسد يتجدد هنريك إبسن ويتجسد، وكأنه قد هرب من زمانه الذي عاش فيه، لكي يتنقل ويتجول بين أبناء هذا الزمان، فقد استطاع المؤلف النرويجي ستاين إريك لوند أن يرسم بقلمه لوحات متناسقة ومتكاملة، تمتزج فيها حياة رائد المسرح العظيم إبسن مع أعماله المسرحية المتنوعة التي أبدعها خلال ما قدر له أن يحيا من سنوات، وأنا لا أعرف الكثير عن المؤلف النرويجي، لكني أعرف أنه قد ولد في العاصمة أوسلو، وحصل على الماجستير

من جامعة أوسلو، وهو يعمل أستاذا منذ سنة 1980وقد نشر ستة عشر كتابا،أغلبها للاطفال وللشباب، وله كتابات أدبية متنوعة، حيث كتب مسرحية، ومجموعة من كلمات الأغاني وعدة قصص قصيرة،هذا إلى جانب مجموعة من القصائد، وهذا ما أهل ستاين إريك لوند لأن يحصد عدداً من الجوائز، منها جائزة براغ سنة 1988وجائزة من وزارة الثقافة النرويجية في مجال أدب الأطفال سنة 1999 وفي سنة 2004حصل على جائزة فيستفولد للأدب النرويجي، كما حصل على جائزة من وزارة الثقافة لأدب الأطفال سنة2009.

الأب الشرعي للحداثة في المسرح المعاصر

إن مكنونات المعرفة التجريبية ،هي جل الركائز والدعائم الفكرية والعلمية والفلسفية التي قامت عليها الحضارة الغربية ، وهي بالتالي التي أدت إلى انبثاق وتطور أهم النظريات التجاربية العلمية التطبيقية ، وازدياد حجم التواتر المجدي والنفعي الكلي في حقول الاختراعات

والاكتشافات الكبيرة ، التي ما زالت تنعش الحيثيات اليومية المعاشة في رحم الجدوى الانسانية ، والتي ما زالت تتعاقب وفق تأسيساتها التنظيرية المتواترة ، في تجديد وتنشيط منظومة العقل البشري ، وهي المصدر المهم والملهم للعديد من الباحثين والمنظرين المجددين ، الحداثيين ، ويبدو من خلال استقراء سريع للواقع الغربي ، ووفق التطور التصنيفي الموثق في علومة وثقافاتة وفلسفاته المختلفة ، انه لم يصل الى هذا النوع من المعرفة الا بعد مخاض عسير ، على كافة الاصعدة والمستويات ، الاجتماعية ، و العلمية ، و الثقافية ، والفلسفية ، ومن الجدير بالاشارة اليه هنا ، ان من أوائل الذين اسسوا ركائز ودعائم هذا النوع الجديد من المعرفة هو (فرانسيس بيكون 1561 - 1626 ((Francis Bacon) الذي صاغ وأسس المواطن الاصيلة العامة لطروحات فلسفته الفكرية في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر ، اي في تلك الفترة الخطرة من التحولات التروطراقية والفكرية والفلسفية القلقة

التي شهدتها الساحة الاجتماعية والسياسية الاوروبية ، في رحمِ عصرٍ انتعشت فيه فلسفة الشك عند رينيه ديكارت الفيلسوف الفرنسي ، الذي يعتبر أيضاً من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة ، من أوائل الذين مجدوا العقل ، ونادوا بتأييد الاتجاه العقلي ، حتى اطلق عليه أبو الفلسفة الحديثة وقد نادت فلسفة ديكارت بالحق الذي برهنت عليه في وضوح ، ومجّدت العقل ايما تمجيد واعتبرته سيد المؤسسين للظواهر الفلسفية ومفسرها المنتج ، وفي معرض حديث ديكارت عن العقل يؤكد قائلاً :

العقل هو أحسن الأشياء توزيعاً بين الناس إذ يعتقد كل فرد أنه أوتي منه الكفاية حتى الذين لا يسهل عليهم أن يقتنعوا بحظهم من شيء غيره ، ليس من عادتهم الرغبة في الزيادة على ما لديهم منه.

وربما سياخذنا هذا الشكل من الطروح العقلية الغربية لاستنباط واستخلاص ما يفكر به العقل العربي على مستوى ميدان ذات الفلسفة في نزعة المظاهر في تمجيد العقل وبداهته واستظهار قيم

الشك لاثبات الحقائق الفوقية على اتفاقها الأصيل الناجز الغير قابل للتاويل ، أو المساس بقدسية الذات العليا ، حيث يصرح الامام الغزالي في مدونته المنقذ من الضلال قائلا- :

لقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ، غزيرة وفطرة من الله .

مميزات أعمال أبسن

الميزة الأولى-: كون أبسن رجلاً حراً في تأسيس منهج طروحاته المسرحية ، وينحى منحاً اشتراكياً في اطار تفكيره العام ، بمعنى أنه كان يؤمن بالتعدد في التدوال .

الميزة الثانية-: كونه كان ممتلأً حنواً كانسان متمدن حداثي حضاري ، أو ربما هو الحنيين الوجداني المبكر للرجوع إلى مناخ الطفولة ، لكن عموماً حتى أكون منصفاً ، ان ما ذهب اليه ابسن في الدفاع عن قضايا الأنثي ، هي محض مواقف انسانية كبيرة ونبيلة ، وربما استطيع ان اسقط بقيمة ضمن اطار الميزة الاولى، التي

تناولتها كحجة لابسن ، هي في أداء هواة لمسرحية بيت الدمية عام 1886 في غرفة الضيوف بشقة في منطقة بلومزبري بلندن ، حيث كان جميع المشاركين لا من المرتبطين بالقضية النسوية فحسب ، وإنما كانت لهم أو ستكون لهم فيما بعد انجازات واسهامات كبيرة في الحركة الاشتراكية البريطانية.

الميزة الثالثة-: كان إبسن غالباً ما يربط ويمزج قضية النساء بالمجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية الأخرى ، التي تحتاج إلى عملية إصلاح وتطهير كبيرة ، وكان كثير المجادلة في حلقات النقاش ، وكان يؤشر مواقفه المنبثقة عن ايمان فكري صادق اتجاه الحركة النسوية ومواطن الخلل المجتمعية الأخرى في العديد من المناسبات حيث يقول -: ان كل المهمشين وبينهم النساء ينبغي أن يشكلوا حزباً سياسياً قوياً للكفاح في سبيل تحسين وضع وتعليم النساء

الميزة الرابعة :

ان مسألة علاقة إبسن بفكرة الاشتراكية من خلال حقيقة جلية

وواضحة تركز على فرض ان الاشتراكية ، والحركة النسوية الناشطة في القرن التاسع عشر ، كانا حليفين قويين يشتغلان على ذات المناطق المهمشة لتفعيلها واستخلاص النتائج من خلال مواطن سباتها الفائت ، ورأى المفكرون الاشتراكيون الأبرز في ذلك الوقت ، رجالاً ونساءاً.

الميزة الخامسة-:

أن المساواة الجنسية الحقيقية تتطلب تغييرات أساسية في بنية المجتمع وتحتاج إلى مراجعة مستمرة عبر الخطاب المسرحي لضمان الابقاء على استمرارها وفاعليتها.

الميزة السادسة-:

ان ابسن كانت له حظوظ توفيق مع المرأه ، وربما تشارك معها في رفض الهيمنة الذكورية على منطقة تبادل السلطات.

الميزة السابعة -:

وربما في تقديرنا هي الميزة الأكثر فاعلية ووقعاً في حياة ابسن

المتقلبة بين مواجع الغربة عن وطنه والعيش مضطراً للتعايش خارجه والبعد القسري عن ملاذه الآمن ، لذا قرر ان يحتج ويعلن امتعاضه وبصوت عال ، عبر أعماله المسرحية عن كل تلك التراكمات الاجتماعية المقيتة المترهلة داخل جسد المجتمع ليصار إلى إنقلاب.

الميزة الثامنة -:

لكونه كان شاعراً مجيداً فقد استطاع من خلال اللغة المختزلة الدالة في توصيل أفكارة من أقرب الطرق وأوسعها رحابا ، لذا تمكن من أن يرتدي اللغة ملاذاً لمقاصده النبيلة ، فكانت عملية الاستجابة العالية من لدن جمهور المتلقين خصباً ، وربما كان الجدل عليه أيضاً وافراً فهذا يدل على جدية وعمق طروحاته الفكرية الممسرحة وبالرغم من انه لم يكتب مسرحيات شعرية بعد بيرجنت بل غير اتجاهه فكتب عام 1869 مسرحية فورة الشباب وهي مسرحية

كوميدية ساخرة تدور موضوعاتها على الزيف ، والخداع ، وفي العام نفسه بدأ عمله الكبير في مسرحية ملك الجليل وانتهى من كتابتها في 1873 وقد تناولت موضوع الصراع بين المسيحية والوثنية ، أبان الأيام الأولى للمسيحية في أوروبا في عصر الإمبراطور جوليان ، وهذا يؤكد بداهةً، على أن ابسن كان غزير التناول في طروحات موضوعات أعماله المسرحية الشعرية والواقعية والاجتماعية والتاريخية.

الميزة التاسعة-:

شعور ابسن المبكر بعقدة الذنب لأسباب كان يوقعها بشكل جلي في مجمل أعماله المسرحية حينما تبنى التنظير والتبشير والكتابة لمذهب أومدرسة أو أسلوب الواقعية الاجتماعية أو الدراما النفسية وهذه المسرحيات التي تكتنف أجواءها عقدة الذنب لدى البطل في مسرحيـة أعمدة المجتمع عام1877 وبيت الدمية عام 1879 ومسرحية الأشبـاح عام 1881 وعدو الشعب عام 1882 ، ويبدو

أن هناك تلازماً واضحاً ما بين عقدة الذنب عند ابطال ابسن وبين شعوره أصلاً بعقدة الذنب في حياته الزاخرة بالتقلبات كانسان ، وككاتب ، ويكشف إبسن عن مظاهر شعور البطل بعقدة الذنب بوسائط وطرق مختلفة ، ليدفعة عنوة صوب طريق التكفير الناجع بالنجاة والخلاص ليبني حياته المستقبلية وفق نظام اجتماعي خلاق ومبني أيضاً على روح الصدق الحقيقية وروح حرية الموقف والفكر والتعبير ، التي اعتبرها أعمدة وركائز ودعائم لبناء مجتمعات حضارية متمدنة خالية من عقدة الذنب بالمرة ، لأن الأبطال الذين سياتون فيما بعد لاتسكنهم تلك المخاوف الهاجسية للشعور بعقدة الذنب لأنهم سيتطهروا منها ، قبل أن يرتكبوها ولقد أثارت النصوص المسرحية المدونة لهنريك إبسن مواقف متعارضة في أوساط النقاد والصحف والجمهور في لندن. فقد عبرت أوليف شراينر الكاتبة والنسوية الناشطة الجنوب أفريقية البارزة ، عن إعجابها العميق والمقطع النظير بهنريك إبسن حين قالت عام 1884

لقد سمعت جزءاً من مسرحية إبسن الأشباح عام 1881 وهي ما تزال في حيثيات مسودتها ، إنها واحدة من أعظم الأعمال التي لم نرَ مثيلها منذ زمنٍ بعيد .

غير أن مسرحياته واجهت مشاعر رعب وخوف واحباط من قبل العديد من نقاد المسرح في لندن ، وظهرت مقالات تتصدر الصحف تهاجم ابسن ووصفت تلك الصحف ، جمهور مسرحية الأشباح التي عالجت موضوع الأمراض التناسلية وآثام الآباء الذين ينتقمون من أبنائهم ، بأنهم عشاق الشبق والنزوة والنزق الجنسي وغير محترمين لأنفسهم ، وليس لديهم حياء واحتشام وهم أيضاً تواقون الى إرضاء أذواقهم غير المشروعة بذريعة الفن ، ومن جانب آخر نشرت العديد من الصحف وقتها مقالات مطولة تشيد بأعمال ابسن وتدافع عن أفكاره وطروحاته الفكرية والفنية الواقعية ، حيث اعتبرَ الناقد المسرحي البريطاني المعروف هارلي جرانفيل باركر أول إخراج لمسرحية بيت الدمية عام 1889 الحدث الأكثر

دراماتيكية في جودة حبك العقدة وتأتى حداثة طروحات هنريك ابسن الفنية من صلب اعتبار جل أعماله المسرحية المدونة هي انعكاس واضح وجلي لمجمل الظواهر الواقعية الاجتماعية والغوص داخل الأعماق النفسية للذات البشرية لاثراء الشخصيات بذلك النسيج الدرامي المتفرد ، فهو نفس تجريبي حداثي على مستوى مائدة الطرح والتناول والتفسير والمعالجة ، ولعل محاولة إعادة تثوير الصراعات النفسية لذات التنشيط المختبري السالف الذي أرغم النقاد على أن يطلقوا عليه لقب فرويد المسرح لتمادية في اخضاع ذوات شخصياته الحية لمجهر التحليل النفسي وتثوير ملامح الانقلاب الواعي على مظاهر الاضطهاد الذكوري ، كما في رائعته بيت الدميه تلك المظاهر التي رسمها المجتمع حولها ، ولقد تكررت تلك النزعات الثورية الآنية الاجتماعية في كبرى أعماله المسرحية ، التي اعتبرت بنسيجها الجديد ثورة على التقاليد البالية القديمة في تقديم الظاهرة الاجتماعية السيئة ومعالجتها بأشكال مسرحية مختلفة

، تختلف اختلافاً كليا ، على مستوى جل المعالجات الثيمية والحكائية والحوراية والفلسفية ، عما ظهرت عليه في الاشكال المتعددة من خلال انتعاش المدارس والمذاهب والاساليب الادبية والفنية المتعددة المختلفة ، ومدى قابليتها على معالجة ذات الظواهر الاجتماعية ، بوفق المواصفات التنظيرية المعتقدة في مناطق اشتغالها الدرامية عند هنريك ابسن ولم يعرف المسرح الغربي بالعموم معنىً اصيلا لعملية التحرر من قيود المسرح الأرسطي والانسلاخ عن مفهوم المحاكاة الكلاسيكية إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين من خلال انتعاش التناول الحثي التجريبي وظهور العديد من المدارس والمذاهب المسرحية والفنية والثقافية والنقدية التي استهدفت الثورة بالاجمال على المسرح اليوناني ، ومفاهيمة التقليدية ، كما ازمعت هذه المذاهب وبأدوات أدبية علمية تجريبية ، للتخلص من الفلسف العقلانية المغلقة ، المبنية على المنطق ، وعلوم الكلام ، والابتعاد

بالمرة عن مبادئ المذهب الكلاسيكي القديم برمته .

دراسة البعد الجدلي عند ابسن

يقول ابسن مرة في رسالة: كل ما أبدعته، يرتبط تقريبا بما عايشته وليس ما رأيته كما أن أحد شخصيات المسرحية ليس بالضروري أن تعبر عنه، لكن قد تكون مماثلة له أو تذكرنا به لقد قال شخصياً أن بريندا وبيرجنت كانا هو أو جانبا منه أصبحت شخصياته نماذج أدبية، موصوفين بدقة ، نحسهم وكأنهم شخصيات حقيقية، وكأن المؤلف يكتب عنا، نلاحظ أن الشخصية في كتاب أو على خشبة المسرح تتصرف كما يمكننا أن نتصرف نحن أو تقول شيئاً يمكننا أن نقوله أو فجأة تقوم بأشياء غير متوقعة، وصفها النقاد بالقنبلة الموقوتة لما تفجره من قضايا تبحث عميقاً في مستويين الإنسان والمجتمع مثيرة ردود فعل عنيفة من قبل النقاد، وحرب خطابية تحدث خلال المناقشة السياسية لكن الجدل يحدد الحياة السياسية على الأقل في بلد

ديموقراطي أصدقاء وأعداء ومعارضين سياسيين منقسمين سواء يشاركون أو لا يشاركون في اختلاف الآراء والحجج على نطاق أوسع في خضم الإديولوجيات المتزامنة، وعلى هذه الأسس المعارضة فإنهم يتداولون أو يناقشون القضايا المختلفة لتعريف النزاعات العائلية أو الفردية إن كلمة الحرب في نقاشاتهم وفي بعدها السياقي لا تزال قائمة على سبيل المثال في مناقشة المشاكل الجنسية والنفسية والعاطفية التي تواجهنا ونواجهها باختيارات مختلفة وآراء ووجهات نظر مختلفة، نناقش ونتداول تلك المواضيع ونواجه تناقضاتنا.

في عالم مثالي، الجدل يؤدي إلى إعادة تشكيل وإصلاح من الحياة السياسية إلى الوجود الذاتي لكن الجدل، كما نعلم جميعا، يبدأ من جديد عندما يكون التكوين الجديد، والهيكل الجديد للقرار وللحل الوسط مرفوضاً ببساطة لأنه ليس صالحا بعد الآن.

لذلك فإن الجدل هو لحظة صراع كما هو أزمة العمل زإمكانية العمل والأداء يتعلّق في لحظة الإنفعال الأداء فكريا يتم استيعابه عبر الحوار حيث يتم طرح ومناقشة طرق جديدة للعمل لاصلاح الوضع.

عرضت مسرحيات هنريك ابسن بطرق متعددة كما أثارت جدالات مختلفة من الناحية السياسية والوجودية لأنها تصف وتمسرح أزمة العرض وهيكل الحياة وأنماط من الوجود لشخصيات مختلفة من شأنها تهديد سلامتهم الجسدية والفكرية.

أبرزت تقنية ابسن الاستعادية قدرته على ابداع أكثر في الولوج لتلك المناطق المعتمة في النفوس البشرية، وسبر أغوارها بطريقة محكمة ، متماسكة وشاعرية واضعاً الاصبع على الجرح المستتر كاشفاً له بجرأة لا متناهية تلك التقنية التي في حد ذاتها أداة بسيطة بالنسبة له ، استخدمها على نطاق واسع في مسرحياته أتاحت له كشف المفارقة التي تحوم وراء النظام المثالي التي تبدو مستقرة ومعروضة بشكل

جيد في المحيطات البورجوازية أما بالنسبة للإضطرابات السياسية فلقد شكلت انطباعاً عميقاً على ابسن وفي رسالة إلى براندیس الناقد والباحث الدانماركي، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير على الأدب الاسكندنافي والأوروبي يقول ابسن إن الانطباع الذي تلقيته الصيف الماضي من رحلتي في النرويج، وملاحظاتي لما كنت أراه في الوطن أزعجني لفترة طويلة، إلى أن توصلت لفهم مستقل من تجربتي ووضعت استنتاجاتي إن كان من الممكن تحويل أفكاري إلى أعمال من وحي الخيال بعد أشهر علّق في رسالة كتبها للشاعر السويدي سنويلسكي يقول فيها: إنني شرعت في كتابة مسرحية والتي هيأت لها سابقاً بدراسة متأنية حين كنت في النرويج كما أضاف في رسالته يقول، وكما لاحظت من جراء المحادثات أن الدولة لا يقطن فيها مليونان من السكان بل مليونان من كلاب وقطط.

لم يكن ابسن سياسياً، كان فناناً، مهمته اظهار الصراعات بين الناس والصراعات التي يمكن أن تتواجد في الفرد لم يكن يرى أنّ مهمته إيجاد الحلول كما لا يريد أن يُصنف سياسياً مرة في عام (1870) اتهم بأنه محافظ، حينها أجاب بهذه القصيدة.

يقولون صرت من المحافظين .

أنا ما كنت طوال حياتي.

لا أنحاز إلى تحريك بيادق الشطرنج.

تغيير اللعبة يربكني، بعدها ستعرفون مكاني

ثورة واحدة فقط أتذكر

لم يقم بها غشاش غبي

جلبت النصر لاحقاً للجميع

بالطبع قصة الفيضان العظيم

رغم أن ذلك الوقت،

حتى ابليس قد انخدع

في تاريخ الطغيان

يا راديكاليين ... كلامي هذا إليكم

دعونا نفعل ذلك مرة أخرى.

لكن هذا يتطلب رجالا ومتكلمين

يسببون فيضانا على أرض العالم

وأنا بكل سرور

أضع طوربيدا تحت سفينة نوح

الكثير من المؤلفات الأدبية كتبت في ذلك الوقت حول عرض الحياة، تسمى بالنزوع الطبيعي في النرويج، كانت أملي سكرام ويوناس لي، النمادج الأولى في هذا الاتجاه الكاتب رائد المذهب الطبيعي في أوروبا، كان الفرنسي ايميل زولا لكن ابسن كان فقط يزدرء من زولا، وأعرب عن اعتقاده بأن الفرق بينه وبين زولا هو أن زولا يغوص في أسفل المجاري ليستحم فيها بينما أنا أغوص لتنظيفها لأن مسرح ابسن كان متميزاً مثيراً للجدل لكن ليس في اتجاه واحد، بل من تيارات مختلفة في المجتمع، يصب هجوماً وإستنكاراً واضحاً للتيار المحافظ، والنفاق الاجتماعي والدوغمائية الدينية بالطبع، مسرحياته قد تقرأ وتفهم كذلك، لكن البعد الجدلي قد يكون أكثر غموضاً حرب من الخطابات، وتباين في التفسيرات، شكّلت

الأرضية الرئيسية له في أعماله المسرحية، حيث يتناول إبسن أثر المجتمع المتكلف على الفرد وتأثيره على الآخرين وعليه كاشفاً كم أن نظام الفكر في خطر كتقويض الهوية في بيت الدمية، نورا تواجه تناقضات بداخلها ، كما يشير ابسن بوضوح عندما جعلها تهجر بيتها، أنها المسؤولة عن ذلك التصرف، والآن تشعر أنها سجينة سلوكها بالنسبة لنورا مسألة الحرية والتحرر ناتج عن رغبتها في خلق عالم مثالي بدأ في الانهيار كا إرادتها في الموت تستولي عليها شيئاً فشيئا بدت الحرية ليس اختيارا مبنيا على أساس الحكم الذاتي ولكن مجرد تفكير وقرار دون ترو للمغادرة بدل من تنفيد الانتحار انهالت المقالات النقدية ومنها من رأى أن نورا لم تكن قادرة على اتخاذ القرار ، مجرد دمية فارغة الرأس ،لأنها في نهاية المسرحية لم تعد تعرف نفسها بالطبع تصرفها الثوري حطم نظام المجتمع التقليدي في أشباح، يمكن للمرء أيضاً قراءة مسار أوزفالد في صراعه المتكرر ضد مرض يتعذر وصفه والكرب الذي دمر حياته بعد أن تأكد من

الطبيب أنه يعاني من مرض الزهري ما هو أكثر إثارة للانتباه هو أن إدراك أوسفلد الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الموت (على الأقل موت القوة العقلية)، وفقدان الإيمان ، بل حتى كلمة الأب لم تعد تعني له شيئاً لم يعد باستطاعته الابداع بل أصبح يخشى من نهاية مؤلمة وتنتهي المسرحية بمشهد الابن ألفنك المؤلم وهو يطلب من أمه أن تعطيه جرعات دواء مميت لتخلصه من العذاب من خلال أوسفلد، الأجهزة الأيديولوجية خرجت عن المسار، لأن هذه الشخصية المسرحية ، تنفد نهج التصنع لبناء النقاش في نهاية المسرحية يمكن للمشاهد أن يرى كيف هو عمل ابسن في تكثيف اللحظة الشعرية الحرجة حين يكرر أوسفالد كلمة الشمس، رمز الفكر الملتو، والشمس الحقيقية تشرق في الخلفية هنا ابسن يخلق التناقض اللفظي مدمجاً المعنيين في إشارة واحدة الشمس الطبيعية سيظل الأمر غير ممكن للوصول إليها كالحرية، وكتحقيق الذات، لكنها واقفة وراء ظهر أوسفالد، كسخرية لحاضر مرعب هكذا هي مسرحياته المثيرة للجدل

والهجومية على النفاق الاجتماعي، وعلى التقاليد والأعراف، كما تعزز تكوين الفرد الفعال في المجتمع، والاحتمالات أو الاستحالات لاصلاح وضع الحياة لدينا مسرحية أشباح كنقد عن تحسن النسل الطبيعي، المدينة الفاضلة من النقاء والتي كانت الحجة الرئيسة لإيديولوجيات القرن العشرين يمكن للمرء أن يرى أن ابسن يظهر ويجعل الخطابات المختلفة مرئية وجدلية تشكل الواقع السياسي، ويركز اهتمامه على تنظيم الذات في المجال العام وانه يشدد على خطر الديماجوجية، والفائض من الشفقة في النقاش الاجتماعي فالتمرد الشخصي محكوم عليه بالفشل، لأننا بالنضال نحارب بنيتنا الفكرية عندما كتب ابسن، في مذكرة عن مسرحيته المشهورة الأشباح التي سخر فيها من رياء المجتمع النرويجي وانحلاله وتفككه، يقول أن الإنسان هو منتج اصطناعي وأن الأمر مجرد جنون العظمة في المطالبة بالإنسانية المناسبة مرة أخرى، سيكون إبسن متقدما بفارق كبير من جمهوره المشاهدون يعرفون أنما يحدث على خشبة المسرح

ليس من الواقع، مجرد ممثلون يلعبون أدوارا، لكن لا يزال المشاهدون يقعون تحت الدهشة في جميع أنحاء العالم وذلك ما يسمى بالموضوع الأبديّ في الأدب هناك شيء يعرفه الجميع في قاعة المسرح؛ أن لديهم وجهات نظر ومشاعر مرتبطة وعندما يكون المرء جالسا في قاعة المسرح، يفكرّ بطبيعة الحال بطريقة لا إرادية، في أمه أو أبيه أو ابنه أو ابنته ، أو كلهم معا كما يقارن المرء وضعيته بما يجري على خشبة المسرح إن هذه الأشباح التي تحدّث عنها ابسن، هي نفس الأشباح التي تعرض لها في حياته واحد من هذه الأشباح طفله الذي انجبه مع الخادمة في جريمستا شبح آخر أبوه الذي أفلس عندما كان صغيرا، والثالث هو تورمود كنودسن بورجيوردا الذي ربما كان على علاقة مع والدته ، وشائعات بعض الناس التي تقول أنه كان والد ابسن الحقيقي لكن معاصروا إبسن آنذاك لم يفهموا مضمون مسرحية الأشباح رأوا فقط الأشياء القبيحة التي لم يورد ابسن ذكرها بالاسم مواضيع لم يكن من المعتاد الحديث عنها ، ما

نسميها بالمحرمات كذلك النقد لم يوجه إلى ابسن الفنان وإنما إلى شخصيته كإنسان عادي أصبح ينظر إلى ابسن كإنسان سيء مادام أتاح لنفسه أن يكتب عن مثل هذه الأمور كل المسرحية ينظر إليها عبارة عن عمل شرير من جانب إبسن من الصعب معرفة إلى أيّ مدى أنّ النقد السّيء ونفوذ المعارضة يؤثر على فنان لكن من غير شكّ أن ذلك أوقع انطباعا على ابسن لإساءة فهمه إلى أبعد حد كان ابسن يريد المناقشة والحوار تمنى أن يقول للناس أنه ليس كل شيء كان جيدا في الجزء الخلفي من ثوب واجهة المنازل تمنى أن يظهر ما رآه كما تمنى بالتأكيد أن يقدم للجمهور مسرحية جيّدة وألاّ يوصف من قبل الجمهور بالشر.

يكتب ابسن مسرحية عدو الشعب مصوراً فيها الخداع الذي تمارسه المجتمعات البورجوازية حفاظاً على مصالحها، وعن التضليل والتخلف المتفشي في منتجع صغير على شاطئ البحر يكتشف

الدكتور ستوكمان أن مياه حمامات المنتجع مسممة أول الأمر احتفل لاكتشافه الأمر، لكن عندما فهم سكان المدينة أن المكان سينخفض دخله بسبب الحمام الذي يجب اغلاقه، كما أن شقيقه الحاكم المستفيد من المشروع سيحاربه ويجعل الصحافة تنقلب ضده، فقد ستوكمان شعبيته واتهم بأنه عدو للشعب يطلب الفرصة الأخيرة في خطاب العامة وجها لوجه، لكنه تعرض للسب والشتم واتهموه بعدائه للشعب وقبل أن يغادرهم خاطبهم قائلاً: قلت إنني سأتكلم على الاكتشاف العظيم الذي قمت به خلال الأيام القليلة الماضية وهو أن مصادر حياتنا الروحية مسمومة جميعها وأن مجتمعنا كله يرتكز على أساس مهلك من الكذب إن أشد أعداء الحقيقة والحرية خطراً بيننا هو الأغلبية الحمقاء لا تمتلك الأغلبية الحق إلى جانبها أبداً إنها إحدى الأكذوبات الاجتماعية التي يجب أن يثور رجل ذو فكر حرّ ضدها أية فئة تشكل أغلبية السكان في هذا البلد؟ هل هم الحكماء أم المغفلون؟ أظن أننا نتفق على أن فئة المغفلين تشكل أغلبية جارفة في

هذا العالم الكبير لكن لا يدوم حكم المغفلين للحكماء إلى الأبد للأسف فالأغلبية تمتلك القوة لكن ليس الحق أنا على حق وكذلك بضع آخرين على حق لن أهدر كلمات على جمع ضيق الصدر ومتذمر ومتخلف عن ركب الزمان لا تنفع الحياة التي تنبض معهم شيئاً تلك كانت كلمات ابسن المليئة بالألم لما تعرض له من كلمات نابية من النقاد، فكانت على لسان الدكتور ستوكمان.

لإيجاد الجواب الصحيح للخروج من المعضلة التي يقودنا إليها ابسن، ببساطة يمكننا قراءة النص بعناية ، تحليله ايبوستيمولوجياً واجتماعياً وسياسياً ومراقبة الطريقة التي يمكن للمرء بسهولة بناء أعمال قد يكون لها تاثيراً مدمراً على الواقع والأدب هو الوسيلة للحساب، وإعادة التشكيل التي توفر لنا فرصة لانتقاد الحكم المتقن الصنع الذي لدينا وللعالم الأدب يتيح لنا السلاح للتصدي وللمقاومة في حياتنا اليومية، في الوقت التجريبي،وللتحيزات، وللمتصيدين في الماء العكر

وللروح المحجّبة تحت سطوة التعقيد فالنص الأدبي خطاب يخترق كل الأيديولجيات والسياسات ويتصدى لها لغاية إعادة صهرها في احتفال بالذكرى العشرين لسقوط جدار برلين، قال الكاتب والفيلسوف الفرنسي اندريه جلوكسمان علينا ألا ننسى جميع الجدران التي مازالت واقفة، وفوق ذلك جميع الجدران التي في العقول والتي تسبب دائماً في تنوير الجدران الحقيقية في هذا السياق جدل ابسن علماني وعالمي، لأنه يلغي ويهزم داخل عقل كل قارئ تلك الأجهزة الإيديولوجية التي سحقت انسيانيتنا في الماضي والحاضر.

لقد مر أكثر من مئة سنة حين كتب ابسن مسرحياته الرائدة التي تصب في دراسة واقع الحياة المعاصرة طرح موضوعات ما زالت تتحدث إلينا نحن الذي نعيش اليوم كتب عن النساء والفنانين، وعن السياسيين ورجال الدين، عن الرياء والنفاق وازدواج الضمير كل ما كتبه عن السلوك البشري لم يتغير فالإنسان هو الإنسان رغم اختلاف

الحقب لذلك ما زالت مسرحياته نعيشها وتعيش فينا فمازال الغرب يعيش ازدواج الضمير، ومازال الشرق يغط في سبات الأشباح على جميع المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية، ومازالت دورة الحياة في غابة الإنسان مبنية على القوي يأكل الضعيف باسم الامبريالية أو الاستعمار أو الديمقراطية منذ بداية خلق الانسان وتبقى المدينة الفاضلة محبوسة في حلم أفلاطون وتبقى مسرحيات ابسن خالدة مع خلود الإنسان.